International Journal of Academic Researchs Studies Year:2, Number:3, December 2019, ss. 88-102

Article Arrival Date/ Yayın Geliş Tarihi
12.11.2019

The Publication Date/Yayınlanma Tarihi
29.12.2019

ISSN: 2667-4823

Aralık / December 2019, 3

Makale Bilgisi / Article Information

<http://dx.doi.org/10.29228/ijarstudies.40288>

سلوك التعلق لدى الطفل

الباحثة : عاشوري صونيا

الدرجة العلمية : أستاذة محاضرة أ

التخصص : علم النفس و علوم التربية

الجامعة : باجي مختار , عنابة

الدولة : الجزائر

البريد الالكتروني:

achourisanyoura23@gmail.com

المؤتمر الدولي السابع للعلوم الاجتماعية انقرة، تركيا

سلوك التعلق لدى الطفل

الملخص :

تعتبر مرحلة الطفولة مرحلة في غاية الحساسية، لأن ما يختبره الطفل خلالها في السنوات الخمس الأولى من خبرات سارة مشبعة و أخرى غير سارة وغير مشبعة لا تنسى، كما يمكن أن تتحكم في صحة الطفل العديد من المتغيرات لاسيما الأسرة والنظام العلائقي الذي يعيش فيه حيث أن هذا الأخير هو المجال المؤسس لكل التنظيمات النفسية التالية والمحرك للنظام العلائقي الخارجي ويتسبب ذلك من خلال العلاقة القاعدية بين الطفل ومواضيعه الأساسية (الأب و الأم)

وعليه سنحاول من خلال هذه الورقة البحثية تحليل نظام العلاقة مع الموضوع و الاستثمارات النفسية التي تنتج عنها من خلال سلوك التعلق لدى الطفل حيث أننا توصلنا إلى ضرورة الاهتمام بسلوك التعلق لدى الطفل خاصة مع المواضيع الأولى و ذلك للحصول على نظام علائقي اجتماعي ناجح و سوي لدى الفرد .

الكلمات المفتاحية : سلوك التعلق ، الطفل

Summary :

Childhood is a very sensitive stage, because what the child experiences during the first five years of pleasant experiences is saturated and other unpleasant and unsaturated unforgettable, and can control the health of the child many variables, especially family and the relational system in which he lives where this The latter is the establishment of all the following psychological organizations and the engine of the external relational system. This is achieved through the basic relationship between the child and his main subjects (father and mother)

In this paper, we will attempt to analyze the system of relationship with the subject and the psychological investments that result from it through the attachment behavior of the child, as we have reached the need to pay attention to the behavior of attachment in the child, especially with the first subjects, to achieve a successful social and individual relational system .

Keywords: Attachment Behavior, Child

سلوك التعلق لدى الطفل

مقدمة:

تعد مرحلة الطفولة المرحلة الأساسية في بناء الشخصية، وخلالها يلبي الطفل رغبته ويشبع حاجاته الفسيولوجية والنفسية، والتي تحقق للطفل نمو طبيعي وصحة نفسية، غير أن الصحة النفسية للطفل تتوقف إلى حد كبير على نوع الرعاية الأمومية التي يحصل عليها في المراحل الأولى من عمره، فالتشكك أن هذه الرعاية من أهم العوامل التي تسهم في نمو وتطور شخصيته، حيث تمثل العلاقة (أم - طفل) المعادلة الأساسية للاستقرار والتوازن النفسي في نمو الطفل.

فالموضوع (الأم) هو الذي يوفر للطفل فرصة للاتصال بالآخرين، ومن خلال سلوك الأم يتمكن الطفل بواسطة حواسه من تكوين صورة عامة للوجه الإنساني وللانفعالات المختلفة التي تظهر في التعبير الوجهي، ويبدأ الطفل مع الأم في تشكيل روابط التعلق. (فايزة قطار، 1992، ص 178)

أين يسعى من خلاله الطفل (مركب التعلق) إلى تكوين رابطة انفعالية قوية مع الموضوع تعزز له الاستقلال والأمن النفسي وتساعد على النمو الاجتماعي والانفعالي السليم فيما بعد، ويستمد منها القوة لكسب استثماراته العلائقية داخل الأسرة أو خارجها.

الإشكالية :

يعتبر التعلق من الوضعيات النفسية الآمنة التي تعمل على تحفيز النمو النفسي للطفل بشكل صحي، وحسب "فرويد" فإن الأطفال الصغار مهينون بيولوجيا للارتباط بالأشخاص من حولهم، ولقد نظر إلى التعلق على أنه شحنة انفعالية لاختيار الشيء إذ يستثمر الطفل الصغير بعض الطاقة الليبيدية في موضوع الحب (الأم). (هدى محمد قناوي وحسن مصطفى عبد المعطي، 2000، ص 287)

وهذا يدل على أن سلوك التعلق مرتبط بموضوع الحب، باعتبار الأم مصدر لإشباع حاجات الطفل الأولية، أين يصبح تعلق الطفل بها لإشباع حاجاته الأساسية والارتياح الذي يشعر به بعد الإشباع، وهذا ما أكد عليه "بولبي" حيث أوضح بأن التعلق يمثل التوازن بين رغبة الطفل في اللعب واكتشاف البيئة المحيطة، وبين حاجته إلى الشعور بالأمان والاطمئنان، غير أن الطفل لا يستطيع تحقيق أو يفعل هذين الأمرين إذا لم تكن هناك قاعدة آمنة يرجع إليها عندما يشعر بحاجة إلى الحماية، ولهذا يتعلق الطفل بالشخص الذي يوفر له الأمان والذي يكون بالدرجة الأولى مع الموضوع (الأم).

و عليه سنحاول في هذه الورقة البحثية الكشف عن كيفية تكوين سلوك التعلق لدى الطفل بداية من الولادة حتى يصل إلى مرحلة تكوين النظام العلائقي الاجتماعي .

1- مفهوم التعلق وأهميته:

1-1- المفهوم اللغوي للتعلق:

علق فلاناً فلاناً، به: تمكن حبه في قلبه، والتعلق يعني نشب فيه واستمسك. (مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، 2004، ص 431)

1-2- تعريف التعلق:

التعلق أو الارتباط في مجال الصحة النفسية ليشر إلى القدرة الكلية على تكوين العلاقات مع الآخرين.

(Bruce Perry, 2006, P5)

يعرف "معاوية محمود أبو غزل" : التعلق بأنه رابطة انفعالية قوية تؤدي بالأطفال إلى الشعور بالسعادة والفرح والأمن عندما يكونون بالقرب من مقدم الرعاية الأساسي، والشعور بالتوتر والانزعاج عندما ينفصلون مؤقتاً عنه. (معاوية محمود أبو غزل، 2006، ص 207)

حسب "حنان عبد الحميد العنابي" : يعد التعلق مظهراً من مظاهر السلوك الانفعالي والاجتماعي عند الطفل في مرحلة المهد، ويتجلى ذلك في رغبته الشديدة في الالتصاق بأفراد آخرين لهم مكانة معينة لديه. (حنان عبد الحميد العنابي، 2000، ص 44)

سلوك التعلق لدى الطفل

يقصد بالتعلق الرابطة الانفعالية التي تؤدي بالأطفال إلى الشعور بالسعادة والفرح والأمن عندما يكونون بالقرب من مقدم الرعاية الأساسي لهم، والشعور بالتوتر والانزعاج عندما يفصلون مؤقتاً عنهم. (سامي محمد ملحم، 2007، ص 110)

"التعلق بشخص، يعني أنه لما نكون في حالة من الضيق أو من التأهب، نبحث عن الأمان التي تمنحنا إياها صورة التعلق المتعلق بها والاقتراب منها." (A-S, Mentz, 2009, p95) يعرفه "الريماوي": أن التعلق رابطة انفعالية مغلقة بين الرضيع وأمه أو من ينوب عنها، يمكن أن يستغرق الشهور الستة أو السبعة الأولى من عمر الرضيع حتى تقوى وتصبح ظاهرة ملحوظة تدل على طبيعة العلاقة الانفعالية التي تربط بين الرضيع وأمه. (صالح محمد علي أبو جادو، 2004، ص 260) أستخلص من التعاريف السابقة أن التعلق رابطة انفعالية قوية يشكلها الطفل مع الموضوع (الأم) والتي يصبح من خلالها قادر على تكوين علاقات اجتماعية سوية في المراحل اللاحقة.

2- أهمية التعلق:

وتظهر أهمية التعلق بكل وضوح من حيث ملاحظة أشكال السلوك التي يصدرها الطفل الذي طور تعلقاً بمقدم الرعاية، فهو يركض إليه عندما يشعر بالخوف ويرتمي بين يديه باحثاً عن الراحة عندما ينزعج، ويشعر بالاستمتاع والأمن بمجرد الوجود بقربه أو باعتقاده بإمكانية رؤيته. فكل رضيع بحاجة ماسة لتشكيل تعلق آمن بشخص ما مثل الأم أو الأب، أو أي فرد من أفراد الأسرة ممن يعتني به على الدوام، ولتحقيق هذا التعلق يوجد مجموعة من الشروط الواجب توافرها منها توفير الأمن والحب للطفل وإنشاء علاقة مع مقدم الرعاية تتسم بالثبات والشعور بإمكانية الاعتماد عليه. أما إذا كان مقدم الرعاية لأي سبب من الأسباب غير قادر على أن يكون بالقرب من الطفل، تظهر الحاجة الأساسية لأن يشكل الطفل تعلقاً مماثلاً مع شخص يعتني به ويقدم له الرعاية الأساسية لأن تكوين التعلق أمر حيوي وحاسم في تكوين شخصية الطفل بكافة جوانبه. فالتعلق يمنحهم شعوراً بالأمن ويطور لديهم شعوراً بالذات ويجعل من تنشئتهم أمراً سهلاً ومسيطر عليه.

كما وأن التعلق يزيد من كفاءة الطفل في تفاعلاته الاجتماعية مع غيره من الأطفال سواء الأشقاء أو من هم خارج الأسرة من رفاق وزملاء.

ويلاحظ أيضاً أهمية التعلق من حيث ازدياد احتمالات تقليد ونمذجة سلوكيات من هم أكثر قرباً منه وأكثر توفيراً للحماية والرعاية. فالطفل يتعلم منهم السلوكيات والقيم والاتجاهات المقبولة اجتماعياً وبذلك يصبحون أكثر وعياً بتوقعات المجتمع التي يجب أخذها بالاعتبار. وبذلك تصبح علاقة التعلق التي يشكلها الطفل البذرة الأساسية التي ينمو ويتفرع منها شعوره بكيونته وسمات شخصيته وأهمية تحمل المسؤولية.

كما وأصبح من المسلمات الأساسية في الأوساط والنقاشات السيكلوجية أن التطور المعرفي يتسارع ويزداد إذا كان للأطفال علاقات آمنة تفتح الأفاق وتمهد الطريق أمامهم للوصول إلى الأشياء ومعالجتها واكتشاف مجهولات البيئة وإشباع حب الفضول والتعلم. (معاوية محمود أبو غزل، 2006، ص 208-209)

3- الأساس البيولوجي للتعلق:

تحدد القدرة البيولوجية للارتباط وتكوين صيغ التعلق مع الآخرين في معظمها بناء على التركيب الجيني، فالدافع إلى البقاء على قيد الحياة دافعا أساسيا لدى كل الكائنات الحية ويولد الأطفال وهم عاجزون تماماً وبالتالي يتوقف وجودهم على قيد الحياة على وجود الآخرين الذين يقدمون لهم الرعاية، وفي سياق الاعتماد التام على الآخرين وبناء على استجابات الأم على وجه الخصوص لاعتماد الطفل على الآخرين تنشأ وتتطور العلاقة مع الآخرين، وهذا التعلق جوهرى لبقاء الطفل على قيد الحياة فالأم السوية بدنياً وانفعالياً ترتبط بطفلها وتشعر بكل ما ينتابه من تقلبات من خلال اقترابها البدني منه، من خلال لمسها وشمها، ومداعبته وأرجحته، واحتضانه الغناء له، والنظر أو الحملقة فيه، ويستجيب الطفل بالتبعية لهذه السلوكيات من خلال الاقتراب والمناغة والابتسام، والرضاعة أو المص والتشبث بالأم.

وتجلب سلوكيات الأم في معظم الحالات بهجة وسروراً للطفل كما أن سلوكيات تجاوب الطفل مع أمه تجلب لها أيضاً متعة ورضا وبناء على التغذية الراجعة الإيجابية هذه وعلى هذا التناغم بين الأم والطفل ينشأ ويتطور التعلق.

(Benjamin & Vgink, 2004, P141)

4- التعلق عبر المراحل العمرية:

❖ عند الولادة:

سلوك التعلق لدى الطفل

يظهر التعلق من خلال سلوكيات غير موجهة إلى شخص محدد، فالمولود الجديد يندمج مع الراشدين خصوصا من يقتربون منه دون أن يكون صورة للتعلق خاصة بعد. إلا أن حضور الأم شيء مفضل عند الرضيع، بفعل أنه تعرف عليها أثناء مدة الحمل مع مختلف المظاهر الحسية للتفاعلات معها. أثبتت دراسات أنه يوجد داخل الرحم يشجع الروابط المبكرة مع الأم، ويخلق تفضيلات تجاهها.

وصف بولبي ثلاث سلوكيات للتعلق الفطري:

- (1) **السلوكيات المنفردة:** (البكاء والصراخ) التي تدفع بمقدم الرعاية للاقترب من الرضيع.
- (2) **السلوكيات الإشارية:** (المناغاة والابتسامة) التي تسمح بالتبادل الجميل مع مقدم الرعاية في حالة الابتعاد عنه وفي لحظات الضيق.

(3) **السلوكيات النشطة:** تسمح بتوجه نحو الراشدين والتمسك بهم لكنها تبقى غير ناضجة بعد. إن استجابة مقدم الرعاية تؤثر على نمو هذه السلوكيات، كلما كانت ملائمة كلما ساهمت أكثر في تنشيط السلوكيات الإشارية. (N, Guedeney, A-S Mintz, 2009, p99)

❖ التعلق ما بين 3 و6 أشهر (التركيز على الأشخاص المألوفين):

في هذه المرحلة تصبح سلوكيات الطفل مراقبة أكثر بفعل نضجه، يوجهها نحو أشخاص أكثر من غيرهم، أي يبدأ التفريق بين الراشدين المألوفين والغرباء، وتتجج الأم والشخص القريب من الطفل في تهدئته، وحوالي 4-5 أشهر يظهر صراخ وبكاء إذا ابتعدت عنه محاولا إرجاعها.

الابتسامة والمناغاة تكون موجهة نحو الشخص الاقتراب إليه. نوعية هذه التبادلات مع مقدمين الرعاية تقوي روابط التعلق وتصبح صور للتعلق، وكذلك يكون بداية تكوين نموذج علمي داخلي نفسو حركي.

❖ التعلق ما بين 6 شهور - 3 سنوات (التعلق المكثف والبحث النشط عن قرب):

يتزايد تعلق الطفل بشخص محدد ويصبح أكثر شمولاً وذلك اعتباراً من الشهر السادس، وما نلاحظه أكثر هو أن الأطفال يصرخون عندما تترك الأم الغرفة معلنين عن قلق الانفصال، في حين أنهم كانوا قبل ذلك يعلنون عن اعتراضهم على مغادرة أي شخص ينظرون إليه، أما الآن فإن غياب شخص محدد بالذات هو الذي يسبب لهم الضيق، كما أن بولبي لاحظ كثافة الترحيب الذي يقابل به الطفل الأم حين عودتها بعد وقت قصير، فهي عندما تعود يبتسم لها بشكل نمطي يدفعها إلى أن تلتقطه وبينما هو بين يدي الأم يعانقها متصاحبا في فرح وكذلك تظهر الأم سعادتها بعودتها إليه.

التحول الجديد في تعلق الطفل بأحد الوالدين يظهر أيضا في حوالي الشهر السابع أو الثامن عندما يبدي الطفل خوفه من الغرباء، حيث يتراوح رد فعله إزاءهم ما بين الحذر الخفيف والصراخات المدوية، ويزداد رد الفعل حدة عندما يشعر بالمرض أو بوضع غير مريح.

لكن الأطفال لا يقتصرون على التعبير عن عواطفهم القوية في الشهر الثامن، إنهم يستطيعون الحب ويمكنهم بالتالي أن يبدعوا في نشاط متابعة أحد الأبوين إذا ما كان على وشك المغادرة، إذ يحاول الطفل بكل الجهد المكثف أن يستعيد التواصل مع الأم التي تغادر فجأة - أكثر مما يفعل لو غادرت بشكل تدريجي أو بطيء - أوفي حالة ما إذا كان الطفل في مواجهة موقف غير مريح بالنسبة له.

ما إن يستطيع الطفل متابعة أمه، إلا ويبدأ سلوكه في الاندماج داخل نظام ذاتي التصحيح طبقاً لأهدافه، أي أنه يبحث عن مكان تواجد الأم، فإذا لمس أنها على وشك الرحيل، فإنه يتبعها في سرعة مصححا نفسه وموقفا حركاته حتى يستعيد التقرب منها، وعندما يقترب فعليا فإنه يقفز بشكل نمطي حتى يصل إلى يديها مشيرا لرغبته في مثل هذا الالتقاط، وعندما تمسك الأم به يستعيد هدوءه مرة أخرى. (وليام كرين، 1996، ص 71-72)

في نفس هذه الفترة يبدأ الأطفال في ممارسة النداء بشكل جديد، حيث يمكن أن يأخذ النداء شكل ونوعية الأهداف ذاتية التصحيح، أي أن الطفل يكرر نداءاته ويبدل فيها طبقاً لتقديره لموقع وحركة الأم، فإذا كانت الأم بعيدة أو في حالة تهيؤ للمغادرة جاءت صيحة الطفل بأعلى صوته، وإذا كانت في الجوار أو مقتربة فإنه ينادي بشكل أكثر هدوءاً وهكذا.

إشارة أخرى إلى سلوك الطفل يتخذ خصائص الانتظام، حيث نلمس التمييز الواضح بين الأهداف والأساليب، هدف الطفل هو الاقتراب ممن يراه، وسوف يستخدم كل الوسائل المتاحة لتحقيق هذا الهدف، فهو عندما يريد التحرك ليقترب من أحد الوالدين فإنه سوف "يحبو، يمشي، يجري".

سلوك التعلق لدى الطفل

من وجهة نظر بولبي فإن نظام التعلق يعمل في مستويات متعددة للاستثارة، أحيانا يشعر الطفل بحاجة مكثفة لأن يكون قريبا وملتصقا بالأم، أحيانا أخرى لا يشعر إلا بالكاد أنه في حاجة إليها. عندما يستخدم الصغير الأم كقاعدة أمان ينطلق منها للاستكشاف يكون مستوى نشاطه نسبيا منخفض، لأنه يسعى للتأكد من وجود الأم بين فترة وأخرى، لكنه كلما كبر يستطيع أن يستكشف وأن يلعب على راحته وعلى مسافة بعيدة عنها.

❖ التعلق ما بين 4 و 12 سنة (سلوك المشاركة):

قبل عمر الثانية أو الثالثة يكون الطفل هتما فقط بحاجاته الذاتية لتحقيق القرب ممن يقومون على رعايته كالأم، دون أخذ خطط هؤلاء الأشخاص في الاعتبار، بالنسبة لطفل الثانية تعتبر معرفة الطفل أن أمه أو أباه سوف يذهب للغرفة المجاورة لإحضار كمية من الحليب شيء بلا معنى، لأن الطفل يريد أن يذهب معه أيضا، أما الطفل الثالثة فعلى العكس من ذلك لديه بعض التفهم لمثل هذه الأعمال ويستطيع أن يتصور سلوك الأم أثناء وجودها في الغرفة المجاورة، وبالتالي فإنه يكون أكثر استعدادا لتركها تفعل هذا الشيء.

اعترف بولبي هناك القليل من المعرفة حول المرحلة الرابعة لسلوك التعلق، وأنه ليس لديه إلا القليل ليقوله عن التعلق في باقي العمر ومع ذلك فهو قد شعر بأهمية المفهوم، فالمرهقون يكسرون السيطرة الوالدية لكنهم يشكلون تعلق جديدا مع بدلاء الآباء.

فالكبار يعتبرون أنفسهم مستقلين لكنهم يبحثون عن القرب ممن يحبون في وقت الأزمات، والأشخاص الأكبر عمرا يحبون أنهم يحتاجون وبشكل متزايد إلى الاعتماد على الأجيال الأصغر.

وعموما فإن بولبي يعتقد أن بقاء الإنسان وحيدا يعتبر أحد أكبر المخاوف في حياة الإنسان وقد نعتبر أن مثل هذا الخوف نوع من العصبيّة أو الخفة أو نقص النضج، لكن الحقيقة أن وراءه أسباب بيولوجية جديرة بالاعتبار، فخلال تاريخ الإنسان واجه الكوارث أو الأزمات بشكل أفضل مع رفقاءه، وهكذا فإن الحاجة إلى التعلق تعتبر جزءا من تكوينه. (وليام كرين، 1996، ص 71-74)

5- التناولات النظرية لمفهوم التعلق:

5-1 النظرية التحليلية:

لقد انبثق الاهتمام بتعلق الطفل من نظرية "فرويد" عن النمو النفسي الجنسي ومفهوم التقمص، وطبقا لنظرية فرويد فإن الأطفال الصغار مهينون بيولوجيا للارتباط بالأشخاص من حولهم. ولقد نظر إلى التعلق على أنه شحنة انفعالية لاختيار الشيء إذ يستثمر الطفل الصغير بعض الطاقة الليبيدية في شخص آخر قد يكون الأم أو البديل، وقد افترض أن ذلك يحدث لكل من الأولاد والبنات في السنة الأولى من حياتهم. (هدى محمد قناوي وحسن مصطفى عبد المعطي، 2000، ص 287)

كما كان لسيمغوند فرويد وهو أب التحليل النفسي، آراء في سلوك التعلق بين الطفل و الأم، سيطرت على معظم المحللين النفسيين المتأثرين به. هذه الآراء تناولها جون بولبي في الجزء الأول من كتابه "التعلق والخسارة"، بعد أن قسمها إلى أربع نظريات هي:

أ. **النظرية الأولى:** تقول بان الطفل يتعلق بالشخص الذي يؤمن له إشباع الرغبات الليبيدية لذلك لا شأن لسلوك التعلق بالأم كأم، بل بالوجه المشيع، فالعلاقة هي علاقة بالثدي وليس بالشخص، أيا الجيد الذي تحدثت عنه ميلاني كلاين، هو مصدر الحب ويرمز إلى الأم الجيدة.

ب. **النظرية الثانية:** وهي نظرية تقول بأن " الرضيع يشعر بالندم بعد الولادة بسبب مغادرته بطن أمه وهو يرغب بالعودة إليه " وقد تكون هذه النظرية منطلقا للدعوة التي وجهها المحللون النفسيون إلى الأم بضرورة تهيئة المناخات الهادئة والساكنة، والمفعمة بالعاطفة والاستثارات الحواسية المختلفة بعد الميلاد، ليتسنى للرضيع اجتياز صدمة الولادة.

ج. **النظرية الثالثة:** تقول بأن " حاجة الرضيع إلى الثدي هي حاجة غريزية، فهو بحاجة إلى مصه وامتلاكه، ويتعلم الرضيع أن الثدي يتبع لذلك الوجه الذي يشبعه فيتعلق به ".

د. **النظرية الرابعة:** ترى " أن الرضيع يميل إلى التواصل والتشبث بشخص ما " وهذه حاجة تشكل موضوعا مستقلا عن موضوع التغذية وعن الحاجات الأخرى.

لكن جون بولبي الذي اشتهر بأبحاثه الطويلة على الثدييات، قد أكد بعد إجرائه لتقسيم نظرية فرويد كما جاء أعلاه، على استحالة أن تقوم علاقة إنسانية على واحدة من هذه النظريات دون سواها، وإلا كانت العلاقة بين الطفل وأم

سلوك التعلق لدى الطفل

هامشية وهشة، فهو يرى أن سلوك التعلق هو نتيجة حتمية لكل النظريات مجتمعه، لأنها تتشابه وتتكامل لتؤلف الكل الذي هو سلوك التعلق الآمن.

فالرضيع ليس بحاجة إلى الثدي فقط، أي إلى مجرد تحقيق مبدأ اللذة والإشباع الفيزيولوجي، كما أنه ليس بحاجة فقط إلى طرح الفضلات الجسمية التي تسبب له الآلام، بل هو بحاجة أيضا إلى المص، والبلع، والهضم، والإخراج، والحقن، والتشبيث، والبكاء والابتسام، والنظرات والملامسة والمناغاة... فان تناغم هذه السلوكيات بإيقاع عاطفي منظم، هو الذي يؤمن للرضيع علاقة جيدة مع الأم التي تجد نفسها مضطرة للبقاء إلى جانب الرضيع لتأمين هذه الحاجات المختلفة.

يستند بولبي في نظرية هذه إلى سلوك التعلق الذي ينمو ويتطور لدى الطفل تجاه أفراد غير معنيين بالاهتمام بحاجات الطفل الجسدية، فالطفل مثلا يستطيع أن يتعلق بأطفال آخرين وأن يعبر عن حزنه وسخطه واحتجائه عند غيابهم، كما أن الطفل يستجيب عادة بسهولة للمؤثرات الخارجية ويمكنه المشاركة في التبادل الاجتماعي مع الكبار، وذلك بمعزل عن الرضاعة أو العناية الجسدية، فسلوك التعلق لدى الطفل، إذن، ينمو ويتطور عند الإنسان بطريقة مشابهة لنمو وتطور التعلق عند الثدييات الأخرى.

ومن شأن تحليل سلوك التعلق لدى الطفل أن يبين ثلاثة عوامل متدرجة في تطور هذا السلوك وذلك على الشكل التالي:

العامل الأول: عامل بيولوجي غريزي، فمن منطلق العلاقة البيولوجية الغريزية بين الطفل والأم، تستطيع أي أم أن تقوم بدورها كأم، ومن المنطلق نفسه يكون التعلق حاجة أساسية تمكن الطفل من النمو نموا سويا من النواحي البيولوجية والعاطفية والاجتماعية ويمكن الأم من ممارسة سلوك الأمومة، فمنشأ التعلق إذن نمط بيولوجي غريزي.

العامل الثاني: عامل إنساني، إذ تتطور العلاقة بين الأم والطفل إلى تجاوز مسائل الحاجات البيولوجية إلى الحاجات النفسية، تبعا لطبيعة التفاعل بين الجانبين وتغدو حاجات الطفل الأساسية عملية ضرورية ولكنها غير كافية لنمو التعلق بين الأم والطفل وغالبا ما يكون إرضاء هذه الحاجات فرصة للتفاعل المتبادل بكل أشكاله، الكلامية والبصرية والسمعية واللمسية والشمية، فعندما ترضع الأم طفلها تشعره بحرارة جسدها، وبحنو لمساتها، وبرقة عباراتها ومناغاتها، فيتحول هذا إلى تفاعل معقد من خلال محاولات الأم تبادل النظر مع رضيعها، ودغدغته، والابتسام له، وتجاوب الرضيع وتفاعله بدوره مع تلك المبادرات الأمومية الإنسانية.

العامل الثالث: عامل اجتماعي، فبعد المرحلة الأمومية الحصرية التي تتحد فيها العوامل الغريزية والبيولوجية والإنسانية، تأتي هذه المرحلة التي يعبر فيها إلى مرحلة التعلق بآخرين، فيتفاعل مع عوامل المحيط أي مع الظروف المادية والثقافية المحيطة بالأم والطفل.

التعلق إذن، هو سلوك تفاعلي يؤدي إلى تأمين حاجات أساسية عند الطفل، وهو سلوك ينمو ويتطور سلبا أو ايجابيا تجاه شخص أو آخر في محيط الطفل، من خلال علاقة عاطفية غير مرتبطة حتما بإرضاء حاجات الرضيع الجسدية وهذا السلوك يحقق التالي:

- بقاء الرضيع بالقرب من مصدر الإشباع البيولوجي.
- تأمين حماية الطفل من مخاطر البيئة ومن هجوم الأتارب.
- تشجيع الطفل على اكتساب المهارات الضرورية للمحافظة على البقاء.
- مساعدة الطفل على تحقيق استقلاليته منطلقا مما زوده به التعلق من استقرار وثقة. (بولا حريفة، 2001، ص

(146-142)

و عليه يرى التحليل النفسي أن نزعة التعلق هي كأي نزعة أساسية أخرى في حياة الإنسان تنمو وتتطور وفق حالة الطفولة الأولى ونوعية العلاقة العاطفية التي تربط الأم بالوليد، وتتجه إلى تحقيق النمو السليم بنتيجة الرعاية المتكاملة الأوجه، أما الافتقاد إلى الرعاية فيؤدي إلى انحراف نمو شكل التعلق. ف " أنا " الطفل ضعيفة جدا لكنها تصبح شديدة القوة بفضل ما يقدم للطفل من عناية، وما يجب التنبيه إليه، هو أهمية سوية سلوك التعلق لدى الفرد. فهذا السلوك يرافق الإنسان في مختلف مراحل حياته، ذلك أن كل إنسان يتعلق بإنسان آخر أو بشيء ما وفي هذا المجال، لا بد من الإشارة إلى وجوب إدراك الأهل لكيفية الابتعاد عن الطفل بشكل صحيح، ليفسحوا له في المجال أمام اختبار الوحدة والحلم، وهذا يعني اختبار الاستقلالية التي تنمي الشخصية الذاتية، كي يصبح الطفل كائنا مستقلا متعلقا، فيكون تعلقه في هذا المجال ضمن إطار السند العاطفي وليس التملكي، حينئذ يكتشف ذاته واحترامها، ويختبر حبها" فحب الذات أو النرجسية هو حارس الحياة ".

سلوك التعلق لدى الطفل

5-1-1- حسب وينيكوت (Winnicott):

بالنسبة لدونالد وينيكوت التعلق هو سلوك يدل على نوعية العلاقة مع " موضوع الحب " التي اختصرها بنقاط مهمة انطلق فيها من " الحب " فقال: الحب يعني: وجود الرضيع، وتنفسه، وعيشه، وشعوره بأنه محبوب، والحب يعني أيضاً: التقبل، انعدام القلق، الإشباع والاكتفاء، الاتصال الحميم والحر مع الأم، وهو ذوبان الرضيع مع " الموضوع " الإشباع البيدي، ومع الأم بكليتها، والحب يعني أيضاً، فرض الحقوق الشخصية على الأم، وجهود الأم من أجل منع حصول الاحباطات.

فكان وينيكوت بهذا التحديد لمفهوم التعلق قد اختصر، أو قد جمع بين مختلف النظريات التي تناقضت في هذا الشأن، والتي رأى بعضها أن التعلق هو نتيجة للتلامس مع الأم، بغض النظر عن الموضة، والبعض ربط التعلق بخفض التوتر الناتج عن الشحنات الغريزية البيولوجية الضاغطة، عبر عملية الرضاعة بغض النظر عن الشخص الذي يؤمن هذه الاشباعات والبعض الآخر رأى في التعلق انشداد الرضيع صوب " موضوع الحب " من هنا تحدث وينيكوت عن مكانة ما أسماه "الموضوع الانتقالي" في التعلق الذي عني به الأم البديلة عن الأصلية والقادرة على القيام بدورها، لتأمين المرحلة الانتقالية التي يمر بها الرضيع، وتمكينه من العبور من الاتحاد والذوبان، ومن " مبدأ اللذة " الذي تحدث عنه فرويد إلى إدراك عالم الواقع، شرط أن يكون الرضيع قد عرف من " الحب " سواء من " موضوع الحب " أو من " الموضوع الانتقالي " كل ما يمكنه من تحقيق هذا العبور.

وذهب وينيكوت، في شرح الموضوع الانتقالي إلى أبعد من الاشباع البيولوجية الأنسية من رضاعة وملامسة ليشير إلى موضوع مهم في سياق سلوك التعلق هو الإسقاطات الرمزية للعلاقة مع "الموضوع" على أشياء بديلة رمزية تحتل حيزاً لافتاً في حياة الطفل، ويبيدي حيالها سلوكاً تعلقياً مماثلاً لسلوك التعلق بالموضوع الأصلي بالأم أو البديل الذي يؤمن له الإشباع.

ورأى وجود مواضيع انتقالية في حياة الرضيع كالحرام الصوفي، أو الدب القطني، أو الإبهام في كثير من الأحيان، فهذه المواضيع الانتقالية تمكن الرضيع من استحضار الأم إليه، عندما تقوى رغباته اللبيدية، فيعمد إلى مص تلك المواضيع الانتقالية أو عضها، لأنها تشكل بالنسبة إليه البديل الرمزي عن الثدي. (بولا حريفة، 2001، ص 137-

139)

من هنا يتبين أن سلوك التعلق هو المحور الأساسي الذي تنطلق منه حياة الفرد السوية في كل مراحل تطورها، كاللغة، واللعب، والخيال، والذاكرة، وكل مظاهر التكيف الاجتماعي السوي.

5-1-2- حسب ماري اينسورث (Mary Ainsworth):

قدمت ماري نظرية بعنوان "تعلقات ما بعد الرضاعة " تتناول فيها التعلق كسلوك يمتد عبر دورة الحياة يؤثر في أوجه النشاطات المختلفة فيما بعد، إذ تأتي هذه النظرية كامتداد طبيعي لتغيرات النمو المصاحب للتعلق الأطفال براعيهم أو من يقوم مقامهما خلال سنوات ما بعد الرضاعة وكذلك التعرف على الروابط الوجدانية خلال حياة الفرد. وتقوم هذه النظرية على أنظمة سلوكية من خلالها وبهما يتم التفاعل والتعلق وهذه الأنظمة هي:

- نظام الرعاية المقدمة عن طريق الوالدين بأبنائهم ومقارنة هذه الروابط بمدى تعلق الأبناء بوالديهم.
 - الروابط الزوجية وما سيتبعها من تناسل يهيئ الفرصة لتعلق ناجح.
 - أشكال الصداقات في كل من الطفولة والرشد. (فوقية حسن عبد الحميد رضوان، 1998، ص 26)
- واعتمدت هذه النظرية على تصنيف أنماط التعلق في الطفولة إلى أربعة أنماط رئيسية:

❖ النمط الأول: التعلق الآمن.

❖ النمط الثاني: العنيد شديد المقاومة.

❖ النمط الثالث: المتجنب أو المنسحب.

❖ النمط الرابع: التعلق المشوش.

وتوصلت ماري أيضاً إلى بعض النتائج ومنها:

- الأطفال الذين يتعلقون تعلقاً آمناً تتاح لهم حرية الحركة ويستكشفون عالمهم بثقة وثبات وشجاعة، أما الأطفال الذين يتعلقون تعلقاً غير آمناً يكونون لأكثر قلقاً مما يشكل لديهم عائق نفسياً يعوق استكشافاتهم لعالمهم ويزعزع ثقتهم.

سلوك التعلق لدى الطفل

- الأطفال الذين يتعلقون تعلقاً آمناً يميلون إلى أن يكونوا أكثر شعبية وأكثر كفاءة اجتماعية، وأكثر إيجابية على أقرانهم، أما الأطفال الذين يتعلقون تعلقاً غير آمناً يكونوا أكثر عدوانية وأقل كفاءة اجتماعية ولديهم مشكلات سلوكية أكثر من أقرانهم الأمنيين.
- الأطفال الذين يتعلقون تعلقاً آمناً يميلون إلى أن يكونوا أكثر استقراراً عاطفياً وأكثر قدرة على التعبير عن مشاعرهم وعواطفهم، أما الأطفال الذين يتعلقون تعلقاً غير آمناً يكونوا أقل قدرة على التعبير عن عواطفهم، وغير مستقرين عاطفياً، ولديهم مشاعر سلبية تجاه الآخرين.
- الأطفال الذين يتعلقون تعلقاً آمناً يكونون أكثر قدرة على حل مشكلاتهم بثقة وثبات، أما الأطفال الذين يتعلقون تعلقاً غير آمناً يكونون غير مباشرين بالآخرين.

(Water & Weinfield, 2000, P678)

نستخلص أن المقاربة التحليلية ترى أن التعلق أمر يرتبط بموضوع الحب، فالأم باعتبارها مصدراً لإشباع الحاجات الأساسية للطفل تصبح موضوعاً للحب، وتعلق الطفل بها إنما يعبر عن رغبته في الحصول على هذا الموضوع.

2-5- النظرية الايثولوجية:

وهي نظرية تم صياغتها وتطويرها من قبل العالم الانجليزي بولبي (Bowlby) والتي تنتظر إلى رابطة الرضيع الانفعالية بمقدم الرعاية كاستجابة متطورة تعمل على زيادة فرص بقاء الرضيع. تعتبر نظرية التعلق الايثولوجية من أكثر وجهات النظر قبولاً في الوقت الحاضر، والتي تتركز حول روابط الرضيع الانفعالية مع مقدم الرعاية، فوق المنحى الايثولوجي فإن العديد من سلوكياتنا الإنسانية لها أسس وراثية تكمن في تاريخنا التطوري لأنها تزيد من فرصة بقائنا، ويعتبر "جون بولبي" أول من طبق هذه الفكرة على الروابط الانفعالية بين الرضيع ومقدم الرعاية، وقد أكدت نظريته فكرة أنصار مدرسة التحليل النفسي والتي تشير إلى أن نوع التعلق مع مقدم الرعاية له تضمينات عميقة وهامة لشعور الطفل بالأمن وقدرته على تشكيل علاقة مفعمة بالثقة

3-5- النظرية السلوكية:

اعتمد بولبي على نظرية بياجى في التطور المعرفي، أثارت تساؤلات عن بقاء الشيء (القدرة على تذكر الأشياء على الرغم من غيابها مؤقتاً) في سلوكيات التعلق المبكر. إن قدرة الطفل على معرفة الغرباء ورد فعله على غياب الأم بدأ وكأنه يحدث في شهوراً مبكرة عما اقترحه بياجى، وقد يحتمل حدوثه معرفياً. تم تسجيل أن فهم الصورة الذهنية قد تحسن كثيراً منذ أن قدم بولبي أرائه والتي كانت أكثر تحديداً من النظريات التي ظهرت في وقته. في عام 1991، ناقش جيرورتنز Gerwitz كيفية تعزيز الأم والطفل لبعضهما إيجابياً من خلال الاهتمام الإيجابي المشترك بينهما، وبذلك يتعلمون البقاء معاً (هذا التفسير ربما يجعل منه غير ضروري افتراض أن الصفات الفطرية للبشر تعزز التعلق). نظرية التعلم، (السلوكية)، ترى التعلق أحد توابع الاعتمادية بالتساوي في كون التعلق مجرد استجابة لتلميحات مقدم الرعاية. يرى علماء السلوك كسلوك البكاء نشاط عشوائي لا يعنى شيء حتى تشجعه استجابة مقدم الرعاية. الاستجابات المتكررة، بالنسبة للسلوكيين، ربما تنتج زيادة في البكاء. بالنسبة لواقعي نظرية التعلق، البكاء ما هو إلا سلوك تعلق متلازم للولادة ويجب الاستجابة له إذا قام به الطفل حتى للمحافظة على تنمية الأمان العاطفي لديه. إن استجابات الواعية تنتج الأمان الذي يقوى الاستقلالية ويتضح ذلك في التقليل من البكاء. أستخلص أن الطفل يتعلق بأمه لأنها تخفف له التوتر فبعد أن تكون الأم مثيرة محايداً قبل إزالتها لألمه تصبح مثيرة شرطياً نظراً لارتباطها عدة مرات بأحداث سارة (كالتغذية وإزالة الألم) ثم تكتسب فيما بعد خصائص إيجابية وتصبح مرغوبة لذاتها. (حنان عبد الحميد العنابي، 2000، ص45)

6- العوامل المؤثرة في التعلق:

أ. الحرمان من الأم Maternal Deprivation:

تعتبر الدراسات التي أجراها سبيتز (Rene Spitz) عام 1945-1946 من أكثر الدراسات التي أشارت إلى أثر الحرمان من الأم على نوعية التعلق وشعور الطفل بالأمن، حيث قام بملاحظة أطفال المؤسسات والذين تم التخلي عنهم وهم في عمر ما بين (3) أشهر وحتى نهاية السنة الأولى مستخدماً تقنية عرفت باسم تحليل الشاشة، وهي تقنية تقوم على تبطئة سرعة الفلم المصور من (24) إلى (8) صورته في الثانية من أجل توضيح التعبيرات الانفعالية لدى أطفال المؤسسات وللحصول على فهم أعمق لاستجاباتهم الانفعالية، ونتيجة لملاحظاته توصل إلى أن أطفال المؤسسات

سلوك التعلق لدى الطفل

يعانون من مشكلات حادة من مثل صعوبات النوم، ونقص الوزن، والانسحاب، لذلك تعد دراساته من الدراسات الرائدة حيث أثارت الرأي العام والأخصائيين في ذلك الوقت إلى أثر الحرمان من الأم في التطور الانفعالي للطفل. يرى روتر (Rutter. 1996) أن أطفال المؤسسات يواجهون صعوبات انفعالية بسبب حرمانهم من تشكيل رابطة انفعالية مع شخص راشد. وهذا ما أكدته "بولبي" حيث يرى أن أطفال المؤسسات غير قادرين على تكوين علاقة تربطهم مع شخص آخر لأنهم لم يتطور لديهم إمكانية تكوين رابطة انفعالية حميمة خلال الفترة المبكرة من التطور، لذا فإن علاقاتهم تبقى سطحية عندما يكبرون نتيجة لتجاوزهم الفترة الحرجة لتشكيل الرابطة التعلقية.

ب. نوعية الرعاية Quilty of Caregiving:

يرى بولبي أن تاريخ التفاعلي بين الطفل ومقدم الرعاية هو المحدد الرئيسي لنوعية التعلق الملاحظ عند الأطفال في السنة الأولى. فالأطفال يشكلون توقعات " نماذج ذهنية عاملة " تتعلق بمدى توافر وحساسية مقدم الرعاية بناء على إشارات التوتر يصدرها الطفل واستجابة مقدم الرعاية لها.

مثل هذه التوقعات يمكن أن تكشف عنها سلوكيات الطفل نحو الحاضن في موقف الغريب والذي تم تطويره من قبل اينسورث والتي قدمت أول دعم تجريبي لأفكار بولبي.

وتتفق معظم الأبحاث التي تناولت موضوع التعلق إلى أن حساسية مقدم الرعاية هي العامل الحاسم في إنتاج التعلق الآمن والتي تتضمن الاستجابة الفورية والمتسقة والمناسبة للإشارات التي تصدر عن الطفل.

ولقد استخدم مصطلح الرقصة العاطفية Emotional dance لوصف هذه الحساسية والتناسق الاتصالي بين الطفل ومقدم الرعاية، حيث يستجيب مقدم الرعاية لإشارات الطفل بالتوقيت والشكل المناسب، وكذلك الأمر بالنسبة للطفل فالتفاعل بينهما معزز لكلا الطرفين وعلى العكس من ذلك يتميز أطفال التعلق غير الآمن بأم تتميز باتصال جسدي قليل، وسلوك روتيني وأحيانا سلبي وامتعاضي ورافض.

مزاج الطفل Child Temperament:

إن العوامل المتعلقة بمزاج الطفل وسمات الأطفال يبدو أنها مرتبطة بسلوكيات التعلق، معظم الباحثين يتفق على أن السمات المزاجية عند الرضع تظهر بشكل واضح في موقف الغريب فمثلا الطفل ذو المزاج الصعب يظهر توترا كبيرا عند الانفصال عن مقدم الرعاية. كما ولوحظ أيضا عندما تم استخدام التقارير الوالدية ومقاييس الكورتزول أنه يمكن التنبؤ من خلال مزاج الطفل بكمية البكاء الصادرة عن الطفل في مواقف الانفصال وليس في موقف لم الشمل. يرى "بولبي" واينسورث أن المزاج والتعلق منفصلين عن بعضهما البعض، وبناء على ذلك فإنه يمكن القول أن مزاج الطفل يرتبط ببعض السلوكيات الملاحظة في موقف الغريب. إلا أنه لا يرتبط بنوعية التعلق باستثناء المزاج الصعب المترافق مع رعاية غير حساسة، إن الأداب التجريبي الآن يدعم وجهة النظر هذه، فنوعية الرعاية الوالدية وليس التركيب المزاجي هو الذي يتنبأ بنوعية بين الطفل وأمه. فالدراسات تشير إلى وجود علاقة ثابتة بين تقارير الوالدين المتعلقة بين مزاج الطفل والتوتر الملاحظ في موقف الغرباء وليس بين تقديرات المزاج والتعلق، مع ذلك فإن خصائص الأطفال تمارس تأثيرا غير مباشر في التعلق الآمن عندما تؤثر على نوعية الرعاية المقدمة للطفل، فمثلا من المحتمل أن مواليد الجدد يعانون من مشاكل عصبية ليس من المحتمل أن يصبحوا ذوي تعلق غير آمن إلا إذا ترافق هذا العامل مع مستويات منخفضة من الدعم الانفعالي والاجتماعي. بشكل مشابه فإن الأطفال الميالون للتوتر لا يمكن أن نتنبأ بتعلق قلق لديهم إلا إذا ترافق ذلك مع ضبط والدي مبالغ فيه.

ويمكن القول أنه بسبب العلاقة المعقدة بين مزاج المواليد الجدد والحساسية الانفعالية عند الوالدين وأنماط التعلق، فإن مفيد القول أن التفاعل بين هذه العوامل هو المسؤول عن نمط التعلق الناتج عند الطفل، فالأطفال ذوي المزاج الصعب يشبثون الحساسية الوالدية وأن العناية والاهتمام الوالدي هما من المحددات الأساسية في نوعية التعلق. (معاوية محمود

أبو غزال، 2006، ص 222-223)

7- أنماط التعلق:

الكثير من نظرية التعلق شكلتها مناهج ماري انيسورث الابتكارية والدراسات القائمة على الملاحظة والتي تم مباشرتها بدقة في اسكتلندا وأوغندا. إن عمل انيسورث وسع نطاق مفاهيم النظرية ومكنت الاختبار التجريبي من المبادئ التي يسير على نهجها. أجرت انيسورث بحثا يعتمد على الملاحظة على زوج من أب وطفل خلال السنة الأولى للطفل، اعتمادا على صياغة بولبي الأولية للنظرية، بحيث تشمل زيارات منزلية مطولة مع دراية للسلوكيات في مواقف معينة، تم نشر هذا البحث مبكرا في عام 1967 في كتاب عنوانه " الطفولة في أوغندا ". حددت انيسورث ثلاثة أنواع أو أنماط، التي يمارسه الطفل مع رموز التعلق: آمن، انطوائي (غير آمن) وقلق مضطرب أو مقاوم (غير آمن).

سلوك التعلق لدى الطفل

ابتكرت انيسورث إجراء عُرف ببروتوكول (الموقف الغريب) كجزء من دراستها الأكبر، لتقييم سلوك الانفصال والعودة. هذه وحدة قياس موحدة لتقييم أنماط التعلق عند الأطفال والرضع. يظهر الإجراء كيف يستخدم الطفل مقدم الرعاية كمصدر للأمان، بخلق ضغط صُمم لتفعيل سلوك عند الطفل. يتم وضع مقدم الرعاية والطفل في غرفة للعب غير مألوقة بينما يسجل الباحث سلوكيات معينة، تتم الملاحظة من خلال مرآة أحادية الاتجاه. في ثماني مقابلات مختلفة، يتم اختبار الطفل عند الانفصال/ العودة عن مقدم الرعاية وفي حضور شخص غير مألوف. وجذبت أعمال انيسورث في الولايات المتحدة العديد من الدارسين إلى مجال البحث، وألهمت مجالات البحث وتحدثت هيمنة السلوكية. قامت ماري انيسورث بالمزيد من الأبحاث مع زملائها في جامعة كاليفورنيا، عرف بريكلي نمط رابع للتعلق، أسماه التعلق المشوش/ الغير منتظم. هذا الاسم يعكس فقر هؤلاء الأطفال إلى استراتيجية التفاعل المترابط.

يتطور التعلق اعتمادا على نوعية الرعاية التي يتلقاها الطفل، ومن أنماط التعلق مايلي:

أ. التعلق الآمن Secure Attachment:

يرى الطفل أمه كقاعدة أمنية ينطلق منها لاكتشاف ما يحيط به، وعندما ينفصل عنها يمكن أن يبكي أو أن لا يبكي، وإذا بكى فإن ذلك يكون بسبب غياب الأم، فهو يفضلها عن أي شخص آخر وعندما تعود الأم فإنه يسعى للاتصال بها، وتقل حدة بكائه فورا.

إذا كانت الأم تحظى بقدر كبير من القدرة على التعبير عن الحب، وكانت واضحة الاستجابة لمشاعر الوليد، ووفرت له العديد من المناسبات التي تحقق له الاستئارة الاجتماعية كاللعب فإن ذلك يساعد على تنمية نوع من التعلق الآمن لديه. (حاجس العوامل، أيمن مزاهرة، 2003، ص 156)

ب. التعلق التجنبي Avoidant Attachment:

يبدو الأطفال في هذا النوع من التعلق غير الأمن مستجيبين للألم عند حضورها، ولا يشعرون بالاكتناب عند مغادرتها وتكون ردود أفعالهم نحو الغرباء مشابهة لردود أفعالهم نحو أمهاتهم، وعند عودتهم للألم فإنهم يتجنبون تحيتها أو يتباطئون في ذلك وعند ما تقوم الأم بحمل الطفل فإنه لا يبدي رغبة قوية للاتصاق بها. (صالح محمد علي أبو جادو، 2004، ص 262)

وقد عرف أيضا بأنه ذلك الذي يعبر الطفل ببكائه الشديد لمدة طويلة عندما ينفصل عن أمه، ثم يبكائه مرة أخرى عندما يجتمعان كذلك فإن الطفل يبكي عندما يبعد عن الالتصاق العضوي بجسد الأم أو الحاضن. (حنان عبد الحميد العنابي، 2000، ص 45)

ت. التعلق المقاوم Resistant Attachment:

يبدو الطفل متعلقا بشدة بأمه ولكنه يفشل في استكشاف ما يحيط به في حضورها وعندما تعود الأم بعد انفصالها عنه، فإنه يتصرف بشكل غاضب ومقاوم، حتى أنه يدفعها أحيانا أو يقوم بضربها ويستمر العديد من الأطفال في البكاء حتى بعد أن تقوم الأم بحملهم ولا يمكن تهدئتهم بسهولة.

ث. التعلق مشوش / غير منظم (متناقض) Disorganized / Disoriented Attachment:

يظهر الطفل في هذا النمط سلوكيات متناقضة في علاقته بأمه مثل البكاء المفاجئ بعد أن يكون قد وصل إلى حالة من الاستقرار والهدوء. وعند لقائه بأمه ينظر بعيدا بعينون بائسة، ولا يُظهر علامات الفرح والسرور في موقف لم الشمل. (معاوية محمود أبو غزال، 2006، ص 219)

8- الانفصال بين الأم والطفل واضطراب التعلق:

يعد قلق انفصال، مطلب من مطالب النمو عند الطفل وجانب من جوانب النمو العادي للطفل، عندما ينفصل هذا الأخير جسديا عن أمه (أو البديل)، في هذه الحالة تلاحظ مجموعة من السلوكيات التي تكون بمثابة شاهد على قلقه، هذه التظاهرات تلاحظ غالبا حوالي الشهر السادس وتشتد في الشهر الثامن أو الحادي عشر، تظهر عند البنات أكثر منها عند الذكور، من بين الباحثين الذين اهتموا بهذه المسألة Ainsworth . Bowlby . Spitz ملاحظاتهم ساهمت في فهم التناذر، أي دراسة الخوف والقلق عند الرضيع والطفل.

ومن بين النتائج التي توصل إليها Spitz أن الرضيع يغير من سلوكياته اتجاه الآخرين بين 6 و8 أشهر أي لا يتسم لأي وجه كان، ولكن بالعكس يعبر ببعض العدوانية لنظرة الغرباء (بعض الأطفال يخفضون عينهم باستحياء، والبعض الآخر يغطون أعينهم بأيديهم، أو جهمهم بملابسهم أو ينبطحون على صدورهم في أسرهم يختفون في الأغشية، و فرق هذا ويكون ويصرخون). (D. Bailly, 2004, P34)

سلوك التعلق لدى الطفل

ويصنف بولبي (Bowlby) سلوك الطفل بعد انفصاله عن أمه في مراحل ثلاث:

- (1) مرحلة الاحتجاج.
 - (2) مرحلة فقدان الأمل.
 - (3) مرحلة تلاشي التعلق. (فايز قنطار، 1992، ص 173-174)
- مرحلة الاحتجاج:** وتبدأ بعد الانفصال مباشرة أو تتأخر بعض الوقت ويمكن أن تدوم من عدة ساعات إلى أسبوع أو أكثر ويظهر خلالها الطفل علامات الضيق الشديد لفقدانه الأم ويبحث بكل الوسائل لاستعادتها، فيبكي ويصرخ ويرفض كل ما يقرب منه.
- مرحلة فقدان الأمل:** ويظهر خلالها الطفل علامات القلق لغيب الأم ويفقد تدريجياً في إيجادها وينخفض نشاطه ويبكي بشكل متقطع وتغلب عليه الانطوائية، ويبدو وكأنه في حالة حداد، وتتميز هذه المرحلة بالهدوء مما يظن الآخرين أن حزن الطفل بدأ ينخفض.

مرحلة تلاشي التعلق: حيث يبدأ الطفل في الاهتمام بمن حوله ويتقبل الطعام، ويميل تدريجياً للتبادل الاجتماعي والابتسام واللعب وعند عودة الأم يظهر غياب سلوك التعلق لديه، فلا يهتم بالأم وكأنه لا يعرفها. واستند بولبي على نتائج ملاحظاته الميدانية لأطفال تتراوح أعمارهم ما بين عشرة أشهر إلى ثلاثين شهراً والذين انفصلوا لأول مرة عن أمهم تهم اللواتي تربطهن بهن علاقة حب وطمانينة. وتتأثر درجة رد فعل الطفل بعد ابتعاده عن أمه بعدة عوامل، فعزلة وحيدا في محيط غريب لا يعرفه يزيد من حدة ردود فعله، بينما وجود أخ أو أخت له، أو شخص يحل محل الأم يقلل من حدة ردود أفعاله.

أيضا لمدة الانفصال تأثير مهم على اضطراب الطفل، ومع ذلك فالعامل الأساسي الذي يؤدي إلى اضطراب سلوك الطفل هو غياب الأم، وكلما كان ارتباط الطفل بأمه قويا وتربطه بها علاقة قوية دافئة عميقة كلما كان تأثير غيابها عليه أكبر ويعلن احتجاجه بصورة أكبر.

ولا يقتصر آثار الحرمان والانفصال على التغيرات السلوكية المباشرة التي تلي فصل الطفل عن أمه، بل تستمر إلى وقت بعيد وطويل، واتضح أن اضطراب الشخصية و العصاب تكونان غالبا نتيجة الحرمان من الأم أو الانفصال عنها.

وهكذا يتضح أن حرمان الطفل وانفصاله عن أمه له تأثيرات سلبية عديدة على حاضره ومستقبله وعلى جوانب شخصيته المختلفة وعلى صحته النفسية، لذلك ينصح الأطباء النفسيين والمهتمين بالصحة النفسية بالألا يحرم الطفل من أمه أو يفصل عنها ويتضمن ذلك الحرمان الرضاعة الصناعية والتي تحرم الطفل من الثدي أمه والذي لا يتضمن حرمانا فيزيولوجيا فقط، بل يتعداه إلى الحرمان من الحنان والحب ودفء الصدر الذي يشعره بالحنان والأمان والطمانينة والملامسة الجسدية التي تمثل أحد عناصر التفاعل بينها وبين طفلها. (أحمد السيد محمد إسماعيل، 1995، ص 36-37)

أستخلص أن التعلق يصف بأنه سلوك متعلق بموضوع حب، وباعتبار الأم مصدر لإشباع الحاجات الأولية تصبح موضوع حب، وعند بلوغ الطفل شهر التاسع من عمره تبدأ الفترة الحرجة لقلق الانفصال، وهذا راجع لاكتساب الطفل قدرات حسية ومعرفية تمكنه من التمييز بين وجه أمه ووجوه الغرباء، أي قد استطاع التمييز بين وجوه الأشخاص الذين تعلق بهم عن غيرهم، بمعنى ذلك أن الطفل يكون بطبيعة تكوينه النفسي أكثر حساسية لمواقف الانفصال، مما يظهر الطفل ردود أفعال متناقضة بين التبعية للأم والحاجة للاستقلال عنها.

8-1- اضطرابات التعلق عند الطفل:

اعتمادا على أهمية الدور الذي تلعبه العلاقة أم - طفل في النمو النفسي والحس حركي، والعاطفي والمعرفي للطفل، استطاع العديد من الباحثين من وصف الاضطرابات الناتجة عن الحرمان من الرعاية الأمومية والتفريق عن الأم من بينهم Bender, Spitz, Levry, Chers.

وبمتابعة البحث والملاحظات على الطفل من أجل السماح للحصول على معالم سلوكية، Cyrulnik كشف على أن هذه السلوكيات تكون مؤشرات تعكس الحالة الداخلية للطفل وللاثر المتسبب من قبل المحيط فبالنسبة له، آثار التفريق مع الأم تعود إلى الفترة التي يكون فيها الطفل بعيد عن أمه.

حسب Cyrulnik الطفل الذي استطاع أن يقيم روابط تعلق غير مقلقة مع أمه يصبح أكثر مقاومة على التفريق وليس العكس. (B.Cyrulnik, 2013, p269)

سلوك التعلق لدى الطفل

خلال الحرب العالمية الثانية استطاع Bowlby و Robertson أن يوضحوا التوريط الذي يسببه التفريق المبكر على الصحة العقلية للطفل، إلا أن اضطرابات التعلق تبقى غير معروفة كمرض إلى غاية 1970 أين ظهر اكتئاب الرضيع ووصف جدول آثار الحرمان العلائقي.

1-1-8- الاكتئاب عند الرضيع وداء الاستشفاء:

قام سبيتز بدراسة على مجموعة من الأطفال فرقوا عن أمهاتهم الجانحات ووضعوا في مؤسسة ذات مستوى مادي لا بأس به، ومجموعة أطفال يعيشون في مؤسسة مع أمهاتهم، وبعد المقارنة بين المجموعتين وجد أن الفئة الثانية لا تضطرب أما الفئة الأولى (الذين وضعوا بالمؤسسة بدون أمهاتهم) لوحظ عليهم الاضطراب، حيث وصف في هذا الصدد هذان النوعين من الاضطرابات.

❖ اضطراب الاكتئاب الاتكالي:

يظهر هذا الاضطراب إذا حدث تفريق مدته بين الشهر وأربعة أشهر ويتطور تدريجيا وتزداد خطورته حسب مدة التفريق.

- الشهر الأول: يظهر بكاء طلي مستمر، كأن الطفل يحتج على هذا التفريق.
- الشهر الثاني: يقل البكاء ويظهر الصباح، وينقص وزن الطفل ويتوقف نموه.
- الشهر الثالث: يبدأ بالانطواء ورفض العلاقات، كما يعاني الطفل من الأرق، وتأخر في النمو الحركي وتجمد تعابير وجهه كأنه لا يبالي بشيء.

❖ اضطراب داء الاستشفاء:

بعدما تتجاوز مدة التفريق أربعة أشهر دون أن يجد الطفل بديل، فإنه يكون قد استكمل مراحل الاكتئاب الاتكالي في حالة خطيرة سماها سبيتز "داء الاستشفاء"، حيث يتسم الطفل بالجمود وخلو الوجه من التعابير، كما لا يستطيع الالتفات لوحدة على سريرته، وقد تظهر اضطرابات حركية وإيقاعية وحركات غير مألوفة للأصابع، وكلما طالبت مدة التفريق بدون وجود بديل أمومي كلما ازدادت الاضطرابات.

2-1-8- اضطرابات التعلق التفاعلية:

ظهرت الاضطرابات التفاعلية للتعلق عام 1980 مع منشور DSMIII ووصف الجدول كما يلي:
التأخر في النمو، غياب الاستجابات الاجتماعية كصفة ممثلة للاضطرابات تظهر قبل ثمانية أشهر (بعدها أخذ وأصبح في 5 سنوات الأولى في DSMIII عام 1994)، حيث وصف الاضطراب التفاعلي للتعلق في الطفولة المبكرة عن طريق الاتصال الاجتماعي المضطرب والذي لا يتمشى مع صعيد النمو، في الكثير من السياقات العلائقية.

كما أصيب نمطين تحتيين لهذا الاضطراب:

❖ **النمط المثبط:** يتصف بتثبيط في الميل العادي للنمو، في البحث عن الراحة بالقرب من صور التعلق (الآباء أو راشدين آخرين) الطفل مثبط في التفاعلات الاجتماعية، هذه الأخيرة تكون إما ذات يقظة مفرطة أو جد متجاذبة، هناك تثبيط عام في نظام التعلق.

❖ **النمط الغير المثبط:** يتميز بحركة مفرطة في نظام التعلق، مع تمييز اجتماعي جد ضعيف، تعلق متنتشرة وغير منتقاة، هنا الطفل لا يميز أقربائه عن الآخرين.

3-1-8- اضطرابات في قاعدة الأمان:

يبدى الطفل نوع من التفضيل أو التخيير لصورة تعلق ما، حيث تتعلق الاضطرابات في هذه الحالة بهذه العلاقة (بين الطفل وصورة التعلق) توجد أربع اضطرابات:

❖ **اضطرابات التعلق مع وضع حياة الآخرين في خطر:** هنا يشارك الطفل في نشاطات مثل (الابتعاد أو الاعتماد) من أجل وضع الآباء في خطر، يبحث من وراء هذا الفعل لجلب الانتباه أو الحماية من قبلهم أين يكون غالبا صعب الوصول إليهم.

❖ **اضطرابات التعلق مع اشتباكات واستكشاف مثبط:** يظهر الطفل هنا تثبيط في حضور صورة التعلق في وضعات جديدة أو في حضور الغرباء.

❖ **اضطرابات التعلق يقظة ومطاوعة مفرطة:** أين يكون الطفل ذو يقظة مفرطة، يخاف أن لا يعجب والديه، لديه مطاوعة مبالغ فيها لطلب والديه يكون قريب إلى نمط تعلق مختل التنظيم.

سلوك التعلق لدى الطفل

❖ **اضطرابات التعلق مع تبادل الأدوار:** أين يكون الطفل مراقب على الأب سواء بطريقة عقابية أو عن طريق الاهتمام الزائد، يكون من الصعب تمييزه وغالبا ما يبلغ الطفل مبتغاه، لكن يجب معرفة كيفية الكشف عن أثر هذا الاضطراب على النمو. (A.Guedeney, 2010, p89-92)

الخاتمة :

بناء على ما ذكر من حقائق علمية فالتعلق رابطة انفعالية قوية التي ينميها الطفل تجاه القائمين على رعايته، والذي قسم إلى أربعة أنماط منها التعلق الآمن، التجنبي، المقاوم، المشوش، غير أن هذا التعلق يتأثر بمجموعة من العوامل كالحرمان العاطفي من الأم، مزاج الطفل، نوعية الرعاية المقدمة، ولا شك أن هذه الأخيرة تعتبر من أهم العوامل التي تسهم في نمو وتطور شخصية الطفل وتأثيرها يعتمد على طبيعة علاقة أم – طفل. كما أن نوعية الرعاية المقدمة من طرف الأم هي التي يستمد منها الطفل القوة لكسب استثماراته العلائقية داخل الأسرة أو خارجها، حيث أن الانفصال بين الأم والطفل واضطراب التعلق بسبب اضطراب العلاقة بالموضوع هذا يؤدي إلى حرمان عاطفي يتبلور بوضوح في مختلف الاضطرابات.

قائمة المراجع : المراجع باللغة العربية:

- 1- أحمد السيد محمد إسماعيل (1995)، **مشكلات الطفل السلوكية وأساليب المعاملة الوالدية**، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ط1.
- 2- حابس العوالمه وأيمن مزاهرة (2003)، **سيكولوجية الطفل علم النفس النمو**، الأهلية للنشر والتوزيع، لبنان، ط1.
- 3- حنان عبد الحميد العنابي (2003)، **الطفل والأسرة والمجتمع**، دار صفاء للنشر والتوزيع ، عمان، ط1.
- 11- سامي محمد ملحم (2007)، **الأسس النفسية للنمو في الطفولة المبكرة**، دار الفكر، الأردن.
- 12- صالح محمد علي أبو جادو (2004)، **علم النفس التطوري الطفولة والمراهقة**، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، الأردن، ط1.
- 13- فايزة قطار (1992)، **الأمومة " نمو العلاقة بين الطفل والأم "**، عالم المعرفة، الكويت.
- 14- مجدي أحمد محمد عبد الله (2006)، **الطفولة بين السوء والمرض**، دار المعرفة الجامعية، الأزطية، مصر.
- 15- مريم سليم (2002)، **علم نفس النمو**، دار النهضة العربية، لبنان، ط1.
- 16- معاوية محمود أبو غزال (2006)، **نظريات التطور الإنساني وتطبيقاتها التربوية**، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، الأردن، ط1.
- 17- هدى محمد قناوي وحسن مصطفى عبد المعطي (2000)، **علم نفس النمو**، الجزء الثاني المظاهر والتطبيقات، دار قباء، ط1.
- 18- وليام كرين (1996)، **نظريات النمو مفاهيم وتطبيقات**، ترجمة محمد الأنصاري ورجاء محمود أبو علام، الجمعية الكويتية لتقديم الطفولة العربية، الكويت.

المراجع باللغة الفرنسية:

- 1- Bailly Daniel, (2004) , "**L'angoisse de séparation: chez l'enfant et l'adolescent**", 2eme éd, paris , Masson.
- 2- Guedeney A, (2010), "**Troubles de l'attachement chez le jeune enfant**" ,in Guedeney N, Guedeney A, "**L'attachement: approche théorique**" , 3^{ème} éd, Paris, Elsevier Masson .
- 3- Maurice Despinoy, (2010), **Psychopathologie de l'enfant et de l'adolescent**, Belgique, Masson.

سلوك التعلق لدى الطفل

- 4- Mintz A-S , Guedeney N , (2009), "L'attachement entre 0 et 4 ans: Concepts généraux et ontogenèse ,chapitre 10", in Guedeney N, Guedeney A . et col "L'attachement : approche théorique" .Paris Elsevier Masson .

المراجع باللغة الانجليزية -5-

- 1- Benjamin James Sadock, M.D& Virginia.Aloctt Sadock, M. D(2004):**Kaplan &Sadock's, Synopsis of Psychiatry Behavioral Sciences, Clinical Psychiatry.**
2- Bruce D. Perry. MD. Duane Rungan (2006):**Bonding and Attachment in Maltreated children.**

المجالات والدوريات:

- 1- فوقية حسن عبد الحميد رضوان(1998) ،علاقة بعض المتغيرات الأسرية وسلوك التعلق بالاستقلال النفسي عن الوالدين لدى طلاب الجامعة، مجلة الإرشاد النفسي، العدد الثامن.

القواميس والموسوعات:

- 1- بولا حريفة (2001)، موسوعة الأسرة الحديثة بسيكوبيديا تربوية نفسية اجتماعية من الحملتي البلوغ، بلوبليس الإشرافية، بيروت، ط1.
2- المعجم الوجيز (2004)، مجمع اللغة العربية، بيروت.